٢٣- سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ
نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ
لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ
٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾.

بَيْنَ يَدَي سُورَةِ الْعَادِيَاتِ

نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

* سُورَةُ الْعَادِيَاتِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ خَيْلِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، حِينَ تُغِيرُ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، فَيُسْمَعُ لَهَا عِنْدَ عَدْوِهَا بِسُرْعَةٍ صَوْتٌ شَدِيدٌ، وَتَقْدَحُ بِحَوَافِرِهَا الْحِجَارَةَ فَيَتَطَايَرُ مِنْهَا النَّارُ، وَتُثِيرُ التُّرَابَ وَالْغُبَارَ.

* وَقَدْ بَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ، بِالْقَسَمِ بِخَيْلِ الْغُزَاةِ -إِظْهَارًا لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا عِنْدَ اللهِ- عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ لِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، جَحُودٌ لِآلَائِهِ وَفُيُوضِ نَعْمَائِهِ، وَهُوَ مُعْلِنٌ لِهَذَا الْكُفْرَانِ وَالْجُحُودِ، بِلِسَانِ حَالِهِ وَمَقَالِهِ، كَمَا تَحَدَّثَتْ عَنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَحُبِّهِ الشَّدِيدِ لِلْمَالِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ أَنَّ مَرْجِعَ الْخَلَائِقِ إِلَىٰ اللهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَلَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ مَالٌ وَلَا جَاهٌ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

●●●

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ

وَالْعَادِيَاتِ	أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْخَيْلِ الْجَارِيَاتِ فِي سَبِيلِ اللهِ.
ضَبْحًا	حِينَ يَظْهَرُ صَوْتُهَا مِنْ سُرْعَةِ عَدْوِهَا.
فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا	فَالْخَيْلِ اللَّاتِي تَنْقَدِحُ النَّارُ مِنْ حَوَافِرِهَا؛ مِنْ شِدَّةِ عَدْوِهَا.
فَالْمُغِيرَاتِ	فَالْمُغِيرَاتِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ.
صُبْحًا	عِنْدَ الصُّبْحِ.
فَأَثَرْنَ بِهِ	فَهَيَّجْنَ بِهَذَا الْعَدْوِ.
نَقْعًا	غُبَارًا.
فَوَسَطْنَ بِهِ	فَتَوَسَّطْنَ بِرُكْبَانِهِنَّ.
جَمْعًا	جُمُوعَ الْأَعْدَاءِ.

لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ	لِنِعَمِ رَبِّهِ لَجَحُودٌ.
عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ	مُقِرٌّ بِجُحُودِهِ.
الْخَيْرِ	الْمَالِ.
بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ	أَخْرَجَ اللهُ الْأَمْوَاتَ مِنَ الْقُبُورِ لِلْحِسَابِ؟
وَحُصِّلَ	وَاسْتُخْرِجَ.
مَا فِي الصُّدُورِ	مَا اسْتُتِرَ فِي الصُّدُورِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.
لَخَبِيرٌ	لَمُطَّلِعٌ عَلَىٰ بَاطِنِ أَمْرِهِمْ فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

●●●

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾.

أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْخَيْلِ، لِمَا فِيهَا مِنْ آيَاتِ اللهِ الْبَاهِرَةِ، وَنِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ، مَا هُوَ مَعْلُومٌ لِلْخَلْقِ.

وَأَقْسَمَ [تَعَالَىٰ] بِهَا فِي الْحَالِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهَا [فِيهِ] غَيْرُهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ، فَقَالَ: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾؛ أَيِ: الْعَادِيَاتِ عَدْوًا بَلِيغًا قَوِيًّا، يَصْدُرُ عَنْهُ الضَّبْحُ، وَهُوَ صَوْتُ نَفَسِهَا فِي صَدْرِهَا عِنْدَ اشْتِدَادِ الْعَدْوِ.

﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ بِحَوَافِرِهِنَّ مَا يَطَأْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْجَارِ ﴿قَدْحًا﴾؛ أَيْ: تَقْدَحُ النَّارَ مِنْ صَلَابَةِ حَوَافِرِهِنَّ [وَقُوَّتِهِنَّ] إِذَا عَدَوْنَ، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ ﴿صُبْحًا﴾، وَهَذَا أَمْرٌ أَغْلَبِيٌّ، أَنَّ الْغَارَةَ تَكُونُ صَبَاحًا، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾؛

أَيْ: بِعَدْوِهِنَّ وَغَارَتِهِنَّ ﴿نَقْعًا﴾؛ أَيْ: غُبَارًا، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾؛ أَيْ: بِرَاكِبِهِنَّ ﴿جَمْعًا﴾؛ أَيْ: تَوَسَّطْنَ بِهِ جُمُوعَ الْأَعْدَاءِ، الَّذِينَ أَغَارَ عَلَيْهِمْ.

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾؛ أَيْ: لَمَنُوعٌ لِلْخَيْرِ الَّذِي عَلَيْهِ لِرَبِّهِ.

فَطَبِيعَةُ [الْإِنْسَانِ] وَجِبِلَّتُهُ، أَنَّ نَفْسَهُ لَا تَسْمَحُ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ، فَتُؤَدِّيهَا كَامِلَةً مُوَفَّرَةً، بَلْ طَبِيعَتُهَا الْكَسَلُ وَالْمَنْعُ لِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْحُقُوقِ الْمَالِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللهُ وَخَرَجَ عَنْ هَذَا الْوَصْفِ إِلَىٰ وَصْفِ السَّمَاحِ بِأَدَاءِ الْحُقُوقِ، ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾؛ أَيْ: إِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ مَا يَعْرِفُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْمَنْعِ وَالْكَنَدِ لَشَاهِدٌ بِذَلِكَ، لَا يَجْحَدُهُ وَلَا يُنْكِرُهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ بَيِّنٌ وَاضِحٌ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَيْ: إِنَّ الْعَبْدَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَفِيهِ الْوَعِيدُ، وَالتَّهْدِيدُ الشَّدِيدُ، لِمَنْ هُوَ لِرَبِّهِ كَنُودٌ، بِأَنَّ اللهَ عَلَيْهِ شَهِيدٌ.

﴿وَإِنَّهُ﴾؛ أَيِ: الْإِنْسَانُ ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾؛ أَيِ: الْمَالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أَيْ: كَثِيرُ الْحُبِّ لِلْمَالِ.

وَحُبُّهُ لِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُ تَرْكَ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ، قَدَّمَ شَهْوَةَ نَفْسِهِ عَلَىٰ حَقِّ رَبِّهِ، وَكُلُّ هَذَا لِأَنَّهُ قَصَرَ نَظَرَهُ عَلَىٰ هَذِهِ الدَّارِ، وَغَفَلَ عَنِ الْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ حَاثًّا لَهُ عَلَىٰ خَوْفِ يَوْمِ الْوَعِيدِ:

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾؛ أَيْ: هَلَّا يَعْلَمُ هَذَا الْمُغْتَرُّ ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾؛ أَيْ: أَخْرَجَ اللهُ الْأَمْوَاتَ مِنْ قُبُورِهِمْ، لِحَشْرِهِمْ وَنُشُورِهِمْ.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾؛ أَيْ: ظَهَرَ وَبَانَ [مَا فِيهَا وَ] مَا اسْتَتَرَ فِي الصُّدُورِ مِنْ كَمَائِنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَصَارَ السِّرُّ عَلَانِيَةً، وَالْبَاطِنُ ظَاهِرًا، وَبَانَ عَلَىٰ وُجُوهِ الْخَلْقِ نَتِيجَةُ أَعْمَالِهِمْ.

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾؛ أَيْ: مُطَّلِعٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، الْخَفِيَّةِ وَالْجَلِيَّةِ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا. وَخَصَّ خَبَرَهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ، مَعَ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الْجَزَاءُ بِالْأَعْمَالِ النَّاشِئِ عَنْ عِلْمِ اللهِ وَاطِّلَاعِهِ.

●●●

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ السُّورَةِ

١ - ذَكَرَ اللهُ جُمْلَةً مِنْ أَوْصَافِ الْخَيْلِ مُقْسِمًا بِهَا، وَهِيَ الَّتِي تُغِيرُ مُسْرِعَةً عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، فَيَعْلُو صَوْتُ أَنْفَاسِهَا، وَتُورِي شَرَرَ النَّارِ مِنْ حَوَافِرِهَا، فَتُثِيرُ الْغُبَارَ وَتُفَاجِئُ الْأَعْدَاءَ، فَهِيَ زِينَةٌ وَقُوَّةٌ.

٢ - أَنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ بِنِعَمِ اللهِ، وَهُوَ يَشْهَدُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِذَلِكَ.

٣ - أَنَّ الْإِنْسَانَ يُحِبُّ الْمَالُ حُبًّا شَدِيدًا؛ فَيَبْخَلُ بِهِ، وَيَحْرِمُ مِنْهُ الْمُحْتَاجِينَ إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ.

٤ - الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ كَنَزَ الْأَمْوَالَ، وَلَمْ يُخْرِجْ مِنْهَا الْحَقَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ، بِأَنَّ اللهَ سَيُخْرِجُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَسَوْفَ يَظْهَرُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ.

٥ - فَضِيحَةُ أَصْحَابِ النُّفُوسِ الدَّنِيئَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُبَعْثَرُ مَا فِي الْقُبُورِ وَيَحْصُلُ مَا فِي الصُّدُورِ.

● ● ●

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْقَارِعَةِ

نَزَلَتْ بِمَكَّةَ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

* سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا، وَالْآخِرَةِ وَشَدَائِدِهَا، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَهْوَالٍ عِظَامٍ، كَخُرُوجِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ، وَانْتِشَارِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيبِ، كَالْفَرَاشِ الْمُتَطَايِرِ، الْمُنْتَشِرِ هُنَا وَهُنَاكَ، يَجِيئُونَ وَيَذْهَبُونَ عَلَىٰ غَيْرِ نِظَامٍ، مِنْ شِدَّةِ حَيْرَتِهِمْ وَفَزَعِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ.

* كَمَا تَحَدَّثَتْ عَنْ نَسْفِ الْجِبَالِ وَتَطَايُرِهَا، حَتَّىٰ تُصْبِحَ كَالصُّوفِ الْمُنْبَثِّ الْمُتَطَايِرِ فِي الْهَوَاءِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صُلْبَةً رَاسِخَةً فَوْقَ الْأَرْضِ.

وَقَدْ قَرَنَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَالْجِبَالِ؛ تَنْبِيهًا عَلَىٰ تَأْثِيرِ تِلْكَ الْقَارِعَةِ فِي الْجِبَالِ، حَتَّىٰ صَارَتْ كَالصُّوفِ الْمَنْدُوفِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ؟!

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِذِكْرِ الْمَوَازِينِ الَّتِي تُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ النَّاسِ، وَانْقِسَامُ الْخَلْقِ إِلَىٰ سُعَدَاءَ وَأَشْقِيَاءَ، حَسْبَ ثِقَلِ الْمَوَازِينِ وَخِفَّتِهَا، وَسُمِّيَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَارِعَةِ؛ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ وَالْأَسْمَاعَ بِهَوْلِهَا وَشَدَائِدِهَا.

◉ ◉ ◉